النداهة والمجذوب

دخل " المجذوب " إلى مصلحة الأحوال المدنية بحى " المحبة " لاستخراج بيان " ساقط قيد" ،هذا هو اسمه منذ قدومه للدنيا دون إرادته ، ومدون بكل أوراقه من شهادة ميلاد ، وبطاقة رقم قومي ومؤهل جامعى ، صحيح أنه لم يختر هذا الاسم ولكن أباه هو من سماه ، ويبدو أنه بمرور الأيام بهت عليه هذا الاسم حتى صار إسما على مسمى ، فملامحه تنطق بالطيبة المفرطة التى تصل إلى حد البله والسذاجة ، لا يجيد مبادىء التعامل مع البشر ، يطلق لحيته فى غير اعتناء ، يستطيع المرء أن يكتشف بسهولة حياءه العذرى الأنثوي .

أخذ " المجذوب " يجوب المكاتب ، ويتنقل من غرفة إلى أخرى ممسكا فى يده بعض الأوراق ، وبمجرد دخوله أحد المكاتب ومثوله أمام موظف يتصفح الجريدة اليومية أشار إليه قبل أن يفصح عن نوع الخدمة التى يطلبها بالصعود إلى الطابق الرابع لإحضار تأشيرة من السيد رئيس المصلحة فأسرع بالصعود ، وهناك أرشده عامل أن يسجل أوراقه بالدور الأرضي أولا فهبط ،وأصر المستخدم على إحضار التأشيرة التى طلبها أولا فعاود الصعود ، وهناك أخبروه مرة أخرى بالهبوط فرضخ للأمر عن طيب خاطر دون اعتراض أو نقاش أو حتى إبداء ضيقه وضجره .

وقف " المجذوب " بالدور الأرضي حائرا ، فأشار إليه أحد السعاة أن يتوجه إلى الأستاذة : "هاميس " – آنسة.. فى مقتبل العمر.. رشيقة .. تساير أحدث خطوط الموضة .. جذابة بطريقة تشد

الانتباه ، ولكن مصدر جاذبيتها مجهول لا يستطيع أحد أن يحدده – اقترب منها فى وجل ووقف أمامها كما يقف التلميذ الخلوق أمام أستاذه الجليل .

أشارت إليه بالجلوس فلبى فى صمت وهدوء ، مدت أطراف أصابعها وسحبت الأوراق التى بيده وتفحصتها فى عجالة ، وطلبت منه إحضار شهادة ميلاد لاثنين من أشقائه وشهادة وفاة لأبيه والتقطت قصاصة ورق ودونت بها ما طلبته منه فأخذها وانصرف دون أن ينطق .

فى اليوم التالى ، دخل " المجذوب " مكتب " هاميس " وقدم لها شهادتى ميلاد لأشقائه ، وتوسل إليها بصوت خفيض النبرات وبنظرات كسيرة أن تمهله للغد للبحث عن شهادة وفاة والده فأومأت برأسها وهى تضع ابتسامة رقيقة فوق شفتيها وتبعد خصلة من شعرها غطت إحدى عينيها .

بعد عدة أيام ذهب " المجذوب " إلى " هاميس " وعلامات الحزن بادية عليه وأخبرها أن أباه حى يرزق ، وأنه بحث طويلا فى كل أرجاء المنزل فلم يعثر له على شهادة وفاة ، وأنه استعان بوالده فى البحث وبذلا قصارى جهدهما ولكنهما لم يعثرا عليها ، وطلب منها مهلة أخيرة حتى يعاود البحث مرة أخرى فإن لم يجدها فسوف يستخرج له شهادة وفاة جديدة .

نظرت إليه " هاميس " نظرة صماء وأشارت إليه بإبهام يدها ، وضحكت ضحكة لاتدرى أهى ضحكة شفقه أم ضحكة غيظ أم هى ضحكة سخريه وإستهزاء وأخرجت نموذجا مطبوعا من مكتبها واستوفت بياناته وأرفقته ضمن أوراقه وأعادت ترتيبها ، ووضعتها

فى ملف ثم أخذته وتوجهت به إلى المراجع المختص ففحصها ووقع عليها ، وأسرعت بالصعود إلى الطابق الرابع يتبعها " المجذوب " كظلها ووضعت الملف أمام رئيس المصلحة ، وبمجرد توقيعه توجهت إلى غرفة بنفس الطابق وهى تلقى التحية وتلوح بيدها وتوزع ابتساماتها على من يصادفها ، ووضعت الملف أمام مستخدم عاف عليه الزمن .. توحى ملامحه أنه من العصر الحجرى .. تآكلت أطرافه وسقطت بعض أجزاءه , أمسك بالملف يحملق فيه ويقلب أوراقه وهو لا يرى فيه شيئا ، فعيناه قد طمستهما عوامل التعرية ، وأخيرا أمسك خاتم النسر بيد مرتعشة وأمهر النموذج المطلوب ختمه ، فالتقطته " هاميس " وسلمته إلى " المجذوب " وهى تهبط درجات السلم وأمرته أن يتوجه إلى مبنى مجاور – وأشارت بيدها تجاهه – ليسجله وسوف يتولون هم استخراج البيان المطلوب .

استقرت " هاميس " بمكتبها وانصرف " المجذوب " لتنفيذ ما أمرته به ، ولكنه بدلا من التوجه إلى المبنى الذى أشارت إليه عبر الشارع وتوجه إلى مبنى السنترال المواجه لمكتبها .

جلست " هاميس " تراقبه وتنتظر خروجه ولكنه لم يخرج ، حفظت الأوراق التى أمامها وأسرعت إلى السنترال تبحث عنه ولكنها لم تتبينه وسط الزحام فعادت أدراجها إلى حيث أتت .

أكد أحد زملاء " هاميس " أن ذلك الشاب سوف يعاود تردده عليها رغم إنهاء مطلبه ، فهى كنهر النيل من يتذوق مياهه فلابد أن يعود إليه .. لقد أختصها الله بكثير من صفات ذلك النيل , فنفسها صافية صفاء مياهه ، ونظراتها عميقة مثل عمقه ، تغرق من يسبح

إلى قلبها كما يغرق النيل من يقتحمه ويعتدى على حرمته ، توهب الحب للجميع مثلما يهب النيل الحياة للجميع .

اعتاد " المجذوب " الوقوف صباح كل يوم أمام مصلحة الأحوال المدنية يترقب وصول " هاميس " وبمجرد وصولها وإلقاء نظرة عليها يختفى ولا يظهر إلا فى موعد انصرافها ، يقف منزويا يحملق النظر إليها ، حتى تمر من أمامه فيخطو عدة خطوات خلفها ثم يتوقف وينصرف فى هدوء دون أن تشعر به ، وبعد فترة وجيزة اعتاد الحضور فى الصباح الباكر ويظل قابعا بالقرب من نافذة مكتبها مسلطا نظراته عليها فى وله وهيام ، وبمجرد سماعه صوتها تطلب من عامل الكافيتيريا أن يحضر لها بعض المشروبات أو الأطعمة يسرع إليه ويحمل ما طلبته ويضعه أمامها فى صمت دون أن ينطق مختلسا بعض النظرات عن قرب ثم ينصرف إلى حال سبيله ليقبع فى مكانه ولا ينصرف من موقعه إلا بعد انصرافها ، لدرجة أن العاملين بالمصلحة قد ظنوا أنه عين بها وصاروا يكلفونه بالكثير من الأعمال فيؤديها دون تردد .

تردى حال " المجذوب " بمرور الأيام وساء هندامه ، فما زال يرتدى نفس ملابسه التى ظهر بها لأول مرة ، وفاحت منه رائحة العرق تزكم الأنوف ، وانتفشت لحيته وهش شعر رأسه حتى أصبحا كفروة خروف ضال فى البيداء ، وزاغت نظراته وأخذت وجهتها تجاه الفضاء ، وارتسمت على شفتيه وملامح وجهه نظرة رضا وقناعة تصاحبها ضحكة صافية حتى وهو يجلس وحيدا منفردا ، واعتاده العاملون على شاكلته تلك ولم يتعرضوا له بل كثيرا ما

شملوه بعطفهم وجادوا عليه ببعض الأطعمة ، ومنهم من زاد على ذلك ووضع فى جيبه بعض العملات الورقية .

فجأة ، اختفى " المجذوب " ولم يحضر كعادته ليقبع أمام مصلحة الأحوال المدنية وبالتحديد قبالة نافذة مكتب " هاميس " ورجح أحد العاملين أن لعنة " هاميس " قد أصابته وهو ليس أول من يصاب ، فقد أصيب شابان من قبل ، وفقد رجل طاعن فى السن عقله وأمضى أعوامه الأخيرة داخل مصحة نفسية حتى لقى حتفه ، فهاميس تلك تنحدر من سلالة الملك " أتون " إله الشمس .ولعنتها تصيب كل من يقترب منها أو يحاول الاستمتاع بجمالها ، فما من محب ولهان نظر إلى عينيها إلا وتاه فى غياهب تلك العيون الصافية العميقة وسلب عقله وأهمل دنياه وهام على وجهه وتوالت عليه النوائب

بعد عدة أيام تم العثور على جثة " المجذوب " طافية بالمصرف المار بالقرب من المصلحة وسط أعواد البوص والنباتات العشوائية وورد النيل والزجاجات والأكياس البلاستيكية ومخلفات المنازل وقد انتفخت جثته وانفجرت وخرجت أحشاؤه .

انتشرت الشائعات تؤكد أن " نداهة الليل " ظهرت له على هيئة " هاميس " وسلبته عقله واقتادته إلى هناك ، وقفزت داخل المصرف ، فقفز خلفها ، وظلت تسير فى الماء وهو يتبعها حتى أجهدته فخرجت إلى اليابسة وتركته يواجه مصيره المحتوم .

أكد تلك الشائعة شاب كانت " هاميس " قد اصطحبته إلى هناك وقفز معها إلى قاع المصرف ولكنه استرد عقله فى الوقت المناسب عند

سماعه آيات الذكر الحكيم تنطلق من ستريو سيارة مارقة واستطاع أن يفلت منها وينجو بحياته .

جلست " هاميس " تمارس عملها كعادتها بجد وإخلاص ، وترسم بسمة مضيئة على ثغرها ..

تركت مكتبها وصعدت إلى الطابق الرابع يتبعها شاب كظلها .